تاريخ الإرسال: 2011/03/29 - تاريخ النشر: 2011/06/20

اندماج المهاجرين الريفيين في الوسط الحضري

دراسة ميدانية بمدينة الجلفة

دحماني محمد بومدين

بلبول نصيرة

قسم العلوم الاجتماعية

جامعة زيان عاشور بالجلفة

تتطلب الحياة الحضرية الاجتماعية دمج كل الأفراد الموجودين داخلها و التي تساهم إلى حد كبير في ترسيخ قيم و أسس المجتمع الحضري بواسطة العلاقات و الممارسات الحضرية.

ولا شك أن النمو الحضري السريع في الجزائر لا يعبر لنا عن النمو الطبيعي بدليل انخفاض مستوياته إلى درجات متدنية، بل يعبر لنا هذا عن مدى الحركة السكانية من الأرياف نحو المدن بما يسمى " النزوح الريفي « ، هذه الظاهرة التي نالت اهتمام الباحثين و المختصين لارتباطها بالكثير من المشكلات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، و التي يجمع الباحثون في علم السكان على أنها في اتجاه واحد نحو المدن، فالهجرة عموما تشمل ثلاث عناصر أساسية في مفهومها، فمن حيث الشكل تكون هجرة فرد أو جماعة ومن حيث النوع تكون داخلية و خارجية، أما من حيث الصفة فهي تتم على نحو دائم ومؤقت ،و الهجرة الريفية هي انتقال الأفراد من منطقة اعتادوا الإقامة فيها (الريف) إلى المناطق الحضرية (المدينة) بغية العيش و الإقامة ،فالهجرة تؤدي إلى هذا الحراك الجغرافي و الاجتماعي للمهاجرين ، بترك مناطقهم الأصلية (الريف) و الانتقال على المدينة.

فلقد شهد المجتمع الجزائري هذه الظاهرة بقوة نتيجة ظروفه التاريخية و الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية في الآونة الأخيرة ، هذا ما يقودنا إلى الحديث عن الأسرة النازحة

إلى المــدن .

إن المدن الجزائرية تعاني حاليا من أزمات أهمها الضغط السكاني الكبير، و فقدان الخصائص الحضرية المرجوة جراء النزوح الريفي الكبير، الذي يفرض نفسه بقوة في واقعنا المعـــاش.

إن الوجود الجسماني للأسرة الريفية في المدينة لا يعني لنا بالضرورة مشاركة أفرادها في الحياة الحضرية ، ولا يعني لنا أيضا تخليها عن قيمها و عاداتها الريفية بحكم مكان إقامتها الجديد ، فهي تأتي إلى المدينة بثقافة و تركيب خاص بها ، ولا شك أن في انتقالها إلى المدينة أثرا هاما في حياتها و طريقة عيشها ، فهي دائما في حركية للبحث عن نظائرها في المدينة و التي توافقها وتماثلها في القيم و العادات و السلوكيات، و بالضبط مع الأسرة النازحة من نفس المنطقة الجغرافية، وهذا ما يزيدها عزلة و هامشية ، فتصبح تعيش في مجتمع خاص بها داخل مجتمع غريب عنها ، الذي يطلب أو يرغمها على بذل الجهد لاندماج أفرادها في هذا المجتمع الجديد .

إنّ الأمر هنا يتعلق بعملية اندماج الأسرة في المدينة، فهي ليست عملية آنية وسريعة ،وإنما هي عملية معقدة ومتشابكة بين الرفض والتقبل والمحافظة و الالتزام للقيم و العادات وأســاليب العيــش.

- ـ الاندماج و الاندماج الحضري :

أ)ـ الاندماج : اندمج اندماجا معناه دخل في الشيء وهي مضادة للكلمة التهميش وفي المعنى العام تعني التكامل ، التوحد ، INTEGRATION .

ـ إنه الارتباط بالجماعة وقد يكون ضعيف أو قويا حسب الظروف . (1)

ـ اتحاد جماعات كانت منفصلة من قبل في جماعة واحدة في نفس الوقت الذي تزول فيه المفارقات الجماعية و الثقافية . (2)

ـ يحث بين الجماعات التي تتميز بنفس الإطار الثقافي العام . (3)

ـ الاندماج الاجتماعي يعني التوازن المتبادل بين مختلف الجماعات التي يسمح بقيام مجتمع

منظم . (4)

ـ إنه يحدث التكامل بواسطة القبول الاجتماعي في الجماعة ، ويتمثل في درجة تفاعل الفرد مع زملائه . (5)

ـ هو مقياس ما هو مشترك بين أعضاء الجماعة وأهمية المشاركة ،تقاس بعدد درجات الروابط الموجودة . (6)

ـ تعريف مدرسة شيكاغو: الاندماج عندما يكون في استمرارية وتقبل نظام اجتماعي ففكرة الاندماج مصطلح إيديولوجي أكثر منه مصطلح علمي . (7)

ويمكننا تعريف الاندماج الاجتماعي على انه الابتعاد عن الهامشية والتفاعل مع الأوضاع الجديدة في حدود التوازن ،بنفس الإطار الثقافي العام للوضع الجديد واكتساب مهارات في البيئة الجديدة والتخلي عن المظاهر الغير مقبولة في البيئة الاجتماعية الجديدة

ب)ـ <u>الاندماج الحضري</u> :

هناك صعوبة في تحديد هذا المفهوم لاختلاف التعاريف من باحث لآخر ، يعرفه محمد عاطف غيث : زوال المفارقات الجماعية والثقافة بين الجماعات المنفصلة (8)

أي أنه يحدث بين الجماعات التي تتميز بنفس الإطار الثقافي العام ، لذلك يكون الفرد مندمجا ومتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه ،عندما يشترك اشتراكا ايجابيا في أوجه نشـــاط هذا المجتمــع .

ـ تكيف الجماعات أو الأفراد بطريقة تؤدي إلى تكوين مجتمع منظم، بحيث تؤدي هذه الجماعات أو الأفراد أو جد النشاط ،الذي ينصرفون إليه بأقل قدر من التوتر والنزاع . (9)

ـ يرى أحمد زكي بدوي أنه ... « الارتباط بالجماعة « (10) ،. ويكون قويا أو ضعيف حسب الظروف الاجتماعية ، التي يعيشها المجتمع كي يحقق التوازن ويعني أيضا التوازن المتبادل بين مختلف الجماعات التي تسمح بقيام مجتمع منظم .

ـ تعريف (PARCK) : هو التخلي عن الروابط والخصوصيات الثقافية (الأصلية) وتبنى

القيم الحضرية الجديدة ، وعلى رأسها القيم الفردانية . (11)

من خلال هذه التعاريف ،يمكن استخلاص تعريف للاندماج الحضري الذي يخدم موضوعنا في أنه عدم الانعزال في الوسط الحضري الجديد للنازحين ،والتفاعل والتكيف مع الوضع الجديد وتبني القيم والممارسات الحضرية الجديدة و التخلي عن العادات والقيم الثقافية الريفية وهذه العملية التي تتم تدريجيا بمساعدة عوامل مادية التي تتمثل في:

(المهنة ، السكن ، التعليم و العلاقات مع سكان المدينة ...) .

وأخرى موضوعية تتمثل في الإطار الثقافي والعادات ، أي ما يطلق عليه طرائق الحياة الاجتماعية .

كما يجب الإشارة إلى بعض عوائق الاندماج في الوسط الحضري ، وهذا لا يتم دفعة واحدة بل بالتدريج وتوفر الشروط ، التي تجعل سلوك الفرد متوافقا مع شروط التنظيم الاجتماعي في المدينة ، وكذا تبني ثقافة حضرية تقوم أساسا على علاقات ثانوية (علاقات الصداقة والجوار) وهي معاكسة للثقافة الريفية الصلبة ، التي تقوم على علاقات أصلا على (القرابة والعشيرة) ، فالمدينة هي بمثابة آلة للاندماج سواء على المستوى المجالي أو الاجتماعي.

ووضع لودروت (R.ledrut) أن النمو الحضري أدّى إلى ظاهرتين متوازنتين ، تحضر المجتمعات الريفية و ترييف المجتمعات الحضرية ، وبالتالي ظهور شكل جديد من المجال الذي لا يعتبر حضري ولا ريفي وبالتالي يتطور نمط جديد لإدماج الحياة الاجتماعية في المجال ، وثقافة جديدة . (12)

إنّ هذا يدفعنا إلى تناول موضوع مدى اندماج الأسرة الريفية النازحة في المدينة ويدفعنا إلى تناول أهم محددات إمكانية اندماج المهاجرين الريفيين في الوسط الحضري من خلال عملية التكيف

عملية التكيف بالقيم و العادات الحضرية :

تحمل الأسرة المهاجرة إلى المدينة عناصرها الثقافية الخاصة بها، إضافة إلى أساليبها في

العيش ، دون إدراكها بمدى رفضها أو التمسك بها .

وموقف الأسرة وفي هذا الوسط الجديد وأمام عادات وسلوكيات جديدة ترفض بوعي أو غير وعي هذه الثقافة الجديدة في أنماط الحياة المختلفة ، مثلما يقول « بوتفنوشت» فما يزال عضو الجماعة المنتمية إلى العائلة المندمجة في عشيرة مصغرة والتي تنتمي هي نفسها إلى العشيرة ، لا زال يحافظ الى يومنا هذا على وعيه الواضح لانتمائه».

وهذا الانتماء يوجه في عدة مفاهيم تعبر عن : (الدوار ، الفرقة او الرفقة ، العرش ، السلف المسمى به ، التاريخ الأسطوري للعائلة) فهي مفاهيم يحتفظ بها الأفراد والجماعات و تعبر عن الذاكرة الجماعية للأسرة أو العرش او الجماعات القرابية.

وتعتبر عملية التكيف الاجتماعي من العمليات الديناميكية و ذلك لأن المجتمع كما يقول ماكيفر : دائم التغير ، فإذا ما استقرت أوضاعه في بعض الأحيان ، من قبيل المصادفة ، فسرعان ما يصيبه شيء من الاضطراب ، وتعود إليه حالة عدم التوازن ، ولهذا فإن الإنسان في نظر ماكيفر في حاجة دائمة إلى تكيف سلوكي مع المجتمع باستمرار .(13)

فالتكيف مصطلح من مصطلحات علم الأحياء ,و يقصد به التغير الذي يصيب الكائن الحي في الوظيفة أو الشكل الذي ييسر له البقاء بوصفه فردا أو جماعة فهي تلك العمليات التي تتوافق بواسطتها الكائنات الحية مع جماعتها في أوضاعها الجديدة، وعند نقل هذا المصطلح إلى العلوم الاجتماعية الإنسانية، نجد أنه في علم النفس يقصد به تغير في نمطه السلوكي الفردي الذي يظهر في محاولته التوافق مع الوضع الجديد ، أما في علم الاجتماع فيقصد به تعديل السلوك وفقا لشروط التنظيم الاجتماعي ، وتقاليد الجماعة و ثقافتها (14) ، ... ويمكننا أيضا التعبير عنها بأنها كل العمليات الواعية التي يحاول فيها الأفراد و الجماعات التلاؤم مع الأوضاع المختلفة التي يوجدون فيها ، و أن يتمكنوا من تغيير سلوكهم أو تطويره طبقا للظروف المحيطة (15)

يجب الإشارة إلى أن المهاجرين الريفيين يأتون إلى المدينة من الأماكن التي لها ثقافتها الفرعية الخاصة ,أي أنهم يأتون و هم مزودين بأساليب مستقرة في السلوك و طرق العمل، و أنماط محددة من الولاء و الالتزامات و الأوضاع الاقتصادية و انساق الضبط وقنوات

الاتصال ,كل هذه ليس من السهل أن تموت في بالبيئة الحضرية الجديدة ، بل سيستمر أثرها و فاعليتها داخل الإطار الحضري لمدة قد تطول و تقتصر حسب قدرات المهاجرين عن التكيف معها في الوسط الجديد بوجه عام ,فالوجود الجسماني في المدينة لا يعنى بالضرورة مشاركة القروي أو الريفي في الحياة الحضرية .(16)

رغم الاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عرفتها الجزائر و التي أدت إلى التكدس الحضري في المدن إلاّ أن الأسر حافظت ولا تزال ، تحافظ عن ميزتها الريفية من خلال السكن الجماعي في المناطق الفوضوية أو حتى خلق أحياء خاصة بها وفق الأسس القرابية والعشائرية, وذلك ما نلاحظه في أغلب مدن الوطن من خلال أن بعض الأحياء الفوضوية أو القصديرية تسمى نسبة إلى سكانها على أساس أصلهم الجغرافي أو العشائري . ففي مدينة الجلفة مثلا يلاحظ تشكل أحياء ومناطق شبة ريفية على ضواحي المدينة ككحي العبازيزبن سعيد الفصحى و الزريعة وضواحي كل من بوتريفيس وعين الشيح الضاية.

قد تدعوا الثقافة الحضرية إلى التخلي وترك ما هو ريفي, أو على الأقل انتقاء الأسرة

لبعض العادات الحضرية , دون التخلي عن ارثها الثقافي المميز لها ، ولقد أشار بوتفنوشت إلى أنه لا توجد قطيعة حقيقية للبنيات الاجتماعية التقليدية , إن العلاقات الاجتماعية التقليدية الموجودة في الوسط الحضري مدعمة بالروابط القرابية العائلية وبالالتزام بالمساعدة والتضامن والتعاون العائلي والقبلي .

وكل هذه العوامل تتميز بالدوام والإصرار على البقاء حتى عبر الأجيال في الوسط الحضري ، وكما يمكن اعتبار بعض المقاييس الحضرية التي لم تتأثر بها العائلات الريفية حتى عبر الجيل الثاني الحضري كالزواج الخارجي ، المسكن في العمارات.

الزواج كمؤشر لعملية الاندماج

الزواج هو الأخر يعتبر عند الريفيين ليس فقط من أجل تكوين أسرة والحفاظ على العائلة بل يتعداه إلى في كونه وسيلة للحفاظ على الإرث العائلي والممتلكات الأسرية والقبلية ويعتبر أيضا وسيلة لتدعيم للتضامن والتماسك العائلي والمحافظة على روح العلاقات الأسرية والقبلية ,وكذا إقامة علاقات جديدة خارج العرش أو القبلية ومن هذه

الاعتبارات ينشط الاختلاف بين الريف والمدينة باعتبارها نسقين اجتماعيين مختلفين كما.

وعلى ضوء اختلاف الخصائص والميزات تتحدد مستويات تكيف الجيل ,الأول من المهاجرين الريفيين مع مجتمع المدينة , إمّا بالتمسك بقيم الريف والحفاظ عليها ، أو التحرر منها الصالح قيم المدينة وسلوكيات الأوساط الحضرية لانها شهدت تغيرات ادت الى ظهور أنظمة جديدة وزوال أخرى, أي ان الحضريين الجدد تكونت لديهم خصوصيات وسمات بفعل تغير أسلوب الحياة وتغير المراكز الاجتماعية, الشيء الذي جعلهم يفضلون الزواج الخارجي عن الزواج الداخلي فنجد أن الزواج وفق العلاقات القرابية مرتبط بنسب الأمية أي أن الأسر والأفراد المتعلمة تميل إلى الزواج وفق الاختيارات الشخصية للمعنيين,وهو أيضا يتأثر أيضا بنوعية الأسرة فالأسرة الممتدة الكبيرة غالبا ما يكون القرار أبوي ,أي عن طريق الجد او الأب او العم ,نظرا للضغوطات الاجتماعية التي تظهر في الأسر الكبيرة التي ترتبط بعوامل منها

- الرغبة في المحافظة على الأملاك والثروة ضمن الأسرة الكبيرة
- تعزيز وحدة الأسر والعرش وترابطه
- انخفاض المهور
- الإبقاء على الأبناء قريبين من الأهل
- الخوف من فشل الزواج مع الغرباء عن القبيلة

عكس الأسر الصغيرة التي يسمح فيها غالبا باختيار الشريك

كما يبرز لنا الزواج الداخلي عند ذوي الدخل المحدود او المستوى المعيشي المنخفض نظرا لعدم تكلفته عند الأقارب

إذا اعتبرنا أن الزواج المؤشر الأكثر تعبيرا لقياس مدى تكيف المهاجرين الريفيين في مجتمع المدينة, ورغبة الريفيين في الاندماج والتخلي عن الحياة الريفية فهو غير كاف ,خاصة على المدى القصير وعبر جيل واحد ريفي حضري, أي أن هده العملية تتأثر بعوامل

أخرى

من شأنها أن تعبر عن مدى التكيف الاجتماعي في مجتمع المدينة.

الارتباط بالأرض: الشخص الريفي يتميز بعلاقة متينة اتجاه الأرض ليس لكونها مصدر للرزق ، بل للاعتبارات العائلية وملكيتها وتوارثها عبر الأجيال ، ويتخذونها كموروث مقدس ، ففكرة بيع الأرض غير واردة إطلاقا أو حتى منحتها كحق في الميراث للمرأة خوفا من دخول الغرباء عن أرض العرش عبر الأجيال من خلال الزواج الخارجي،

تعليم وعمل المرأة : بالرغم من إجبارية التعليم وتعميمه في المدينة خاصة ، إلا أن حظ المرأة من التعليم أقل بكثير عند الرجل, والملاحظ أن الريفيين في المدينة حتى وإن سمح للبنت بالتعليم والدراسة, إلاّ احتمال مواصلتها للدراسة ضئيل جدا خاصة بعد سن البلوغ إلاّ عند الضرورة ، حيث الاعتماد السائد أن مكان المرأة هو البيت والعمل المنزلي أما العمل فعند الضرورة الاقتصادية غالبا .

تكييف المسكن : إن إقامة المهاجرين في المدينة سواء أكان ذلك في الشقق العصرية أو المساكن التقليدية أو القصديرية, لا تتخلى الأسرة حينئذ من السعي دوما إلى تكييف المسكن مع الطبيعة الجديدة ، لكن مع مراعاة اختلاف الأساليب المعتمدة ، أمّا الهدف فيضل واحدا ، وهو محاولة إيجاد بيئة القرية أو الريف أو الموطن السالف ، بحيث توفر ما يمكن من الظروف لممارسة بعض العادات والتقاليد المتوارثة منذ القدم ، فيمكننا اعتبار السكن كمقياس لدرجة تقبل الأسرة للظروف الحضرية حسب الإمكانيات « يعبر المسكن عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لسكانه والمرافق وأدوات البناء والموقع والمميزات الداخلية والخارجية هي المؤشرات الأساسية التي تبين نوع السكن

يمكننا تمييز خصائص تكيف المسكن مع مدى ممارسات العادات والتقاليد المكتسبة

للمهاجرين الريفيين في المدينة الى :

ـ الفئة الأولى : وتمثل سكان العمارات ، حيث تلجأ الأسر في هذا النوع من السكنات

إلى إدخال تعديلات جزئية حسب الحاجة من أجل تكييفها مع متطلبات الأسرة ، " كتغيير النوافذ في حجمها أو نوعية الزجاج المستعمل فيها ووضعية الشرفات خاصة إذا كانت نحو الشوارع الكبرى كما يمس التغيير غرفة الاستقبال وحجمها.

ويمكن اعتبار هذه الفئة أكثر التزاما بتحسين السكن في المدينة, إذ نرى أن هذه الفئة غالبا ما تعتبر السكن في الشقق مؤقتا وغير ملائم الى حين الحصول على سكن ملائم يتوافق مع متطلبات الأسرة لعدة أسباب منها ,ضيق المسكن وعدم كفايته إضافة الى عدم تجانس ساكنيه وكثرة الاحتكاك مع الجيران وصعوبة متابعة الأبناء , وعدم توافق الجيران وتغير ملكية ساكنيه باستمرار, مما يصعب من عملية خلق علاقات جواريه متينة والملاحظ إضافة إلى عدم وجود لجان الأحياء وعدم فعاليتها.

ـ الفئة الثانية : وتتمثل في الأسر ذات الأصول الريفية المقيمة في الأكواخ والبيوت القصديرية , هذه الأسر عموما تعمل على خلق أو توفير بيئة شبيهة بوسطها الريفي ، فيلاحظ مدى تجنب سكانها للفضوليين, وتسعى دائما لحماية محيطهم من الغرباء إذ تعتمد على التجاور والتقابل في السكنات وتعتمد اغلبها على فناءات قد تستخدم لجمع بقايا الأغراض الريفية وتربية الحيوانات ,هذه الفئة أقل تكيفا مع مجتمع المدينة.

ـ الفئة الثالثة : التي تظم الأسر الريفية المقيمة بنوع آخر من المساكن الذي يتمثل في السكنات الفاخرة أو البسيطة, التي تتميز عن باقي السكنات أنها تقع في الأحياء العمرانية الراقية والمنتظمة والتي تتميز أيضا بتوفر مرافق السكن الحضري (إنارة تصريف وجلب المياه ، غاز ، هاتف ثابت ..) ,نرى أن سكانها يعتمدون على استغلال المساحات القريبة من مدخل السكن و إحاطتها بسور لضمان ستر إضافي أكبر لمحيط الباب واستغلال المستودعات غالبا للإيجار لضمان مدخول إضافي, فهي أقل تمسكا بطريقة السكن الريفي.

تعمل الأسرة غالبا إلى تكييف المسكن الجديد في المدينة وفق متطلباتها ومدى رغبتها في توسيع مجال الاتصال مع مجتمعها الخارجي.

العلاقات الاجتماعية : من صفات الإنسان وجود العلاقات التي تربطه بالآخرين

بغض النظر من كونها ايجابية أو سلبية، فوجود الأفراد في جماعات بشرية يفرض عليهم وجود تفاعل اجتماعي سواء كان في الحي أو مكان العمل أو المجتمع المحلي

دون اعتبار لحجم هذا المجتمع ومدى تطوره ونشأته .

والفرد بكونه اجتماعي لا بد أن يعيش ضمن الجماعة الموجود فيها ، ويسعى باستمرار إلى التكيف فيها ، " ويتنازل عن بعض خصائصه الفردية دون أن يؤثر ذلك سلبا على مفهوم الذات لديه وذلك لضرورة وجوده داخل الأسرة أو المدرسة أو الجماعة أو الشغل أو المؤسسة التي يعمل فيها " (17) .

إن لموضوع العلاقات الاجتماعية مكانة هامة في المدينة, فهي أساس علم الاجتماع وقد عرف العلاقات الاجتماعية بأنها الروابط والآثار المتبادلة بين أفراد المجتمع والتي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض وتفاعلهم في المجتمع (18) .

ويمكننا حصرها عبر عامل الزمن ومدى تواصلها إلى :

علاقات اجتماعية محدودة: فهي نموذج للتفاعل بين شخصين أو أكثر، ينطوي الاتصال الهادف والمعرفة المسبقة لسلوك الشخص الآخر. كما تعتبر وحدة من وحدات التحليل السوسيولوجي .

علاقات اجتماعية دقيقة: لها وقت معين ، تبدأ وتنتهي مع انتهاء غرضها .

علاقات اجتماعية طويلة الأجل: العلاقات الأكثر استمرارا وتؤدي إلى ظهور توقعات اجتماعية ثابتة كعلاقات الزواج، الجيرة، العلاقات القرابية، م خلال حصر مدى دوام العلاقات حسب الوصف وآخر من يمكننا القول أن الأسرة إلى المدينة تنشأ علاقاتها في المدينة على هذا الأساس حسب

العلاقات الاجتماعية الجوارية :

تعتبر العلاقات الجوارية لدى المجتمع العربي والجزائري خاصة من أهم مقاييس التضامن والتعاون في المجتمع , فبغض النظر عن الحاجة إلى إقامة تلك العلاقات , يحث الدين الإسلامي على التآزر والاهتمام بالروابط الجوارية والإحسان للجيران والاهتمام لانشغالاتهم

باعتبار العلاقة الجوارية من الواجبات المقدسة عند الشعوب الإسلامية ,من خلال رعاية أحوال الجيران والإحسان لهم وحفظ ممتلكاتهم في غيابهم في حين أننا نجد في وقتنا الحالي أن العلاقات الاجتماعية الجوارية قليلة جدا ، فهي توجد من خلال الحاجة إليها ، « فالجار لا يشاهد الجار فترة طويلة بسبب الانشغال الدائم وكثرة الالتزامات الاجتماعية سواء بالنسبة للمرأة أو الرجل « (19) .

وهي أيضا تتأثر بنوعية الحي السكني ومدى وجود فضاءات الالتقاء والمراكز الاجتماعية للسكان وتغلب عليها طابع المبادرة ,كما تتحدد بحجم الأسرة وتفاعلات العلاقات بين الأبناء إضافة إلى صلة القرابة وتقارب السكنات .

العلاقات مع الوسط الأصلي :

يقصد بها تلك العلاقات التي تربط الأسرة المهاجرة بوسطهم الأصلي سواء تعلق الأمر بالعلاقات الأسرية (الأبناء، الآباء، وعلاقات الروابط الدموية) أو العلاقات التي مع السكان الريفيين, والتي قد تكون ذات أبعاد اقتصادية ومعيشية (نوع العمل ازدواجية العمل، الأملاك والميراث ...) .

إن العلاقات بين المهاجرين قد تتسم بالدوام كدوام العلاقات في المجتمع الريفي ,التي تتميز بأنها علاقات أولية, وتقل عنها في القرية ثم المدينة أين يتسع نطاق التفاعل وتضعف الروابط الاجتماعية فهي نسبية في المدينة (20) .

فهذا المفهوم يضعنا نريد تفسير كيفية إحداث هذه القطيعة بالنسبة للمهاجرين تدريجيا

بسبب انخفاض كثافة هذه العلاقات ، وضعف التفاعل ،وهي الأمور الناجمة عن البعد المكاني وتكون محصلتها في النهاية ضعف روابط الاتصال بين الأقارب ، وفتور العواطف وبروزها ... « (21) .

إن الحفاظ على العلاقات مع الوسط الأصلي قد تكون أطوال مدة ممكنة بعد الاستقرار في المدينة ،لأنهم لا يستطيعون قطع صلاتهم مرة واحدة ,فهم يستمرون في تبادل الزيارات مع الأقارب والمقيمين في الريف ، كما يحافظون على ممتلكاتهم التي هي غالبا مصدر رزقهم, ويمارسون بعض النشاطات الاقتصادية فيها ، إذ نجد أن معظم

البحوث توضح ذلك ، إذ يقول بن عطية « الريفي يصل إلى المدينة بموقفين: فهو لم يأتي إلى المدينة في إطار اقتصادي محدد جدا ، لكن في انتظار غير مخطط لاندماج اقتصادي اجتماعي إلى المدينة ,إنه يأتي إلى المدينة و يجلب و يحافظ على كل العلاقات العائلية الاقتصادية ، الاجتماعية التي تربطه بأصله الريفي « (22) .

إن الاندماج في الوسط الحضري يتطلب التنحي عن كل الروابط الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية الريفية تدريجيا وفق الحاجة إليها .

فهناك مفهوم آخر للهجرة من الريف إلى المدينة المرتبط بإحداث القطيعة مع الوسط الأصلي فالمهاجر ينتزع نفسه من الانتماء إلى القرية وينخرط في البيئة الصغيرة المتجانسة في القرية لكي يكيف نفسه مع الجماعات المرجعية المتفرقة في المدينة ... « (23) .

إن التجمع السكاني للمهاجرين الريفيين في المدينة يدعم و يحافظ على استمرارها فنجد أن بعض الأحياء أو التجمعات السكنية في المدينة تسمى على حسب تسمية أعراش المهاجرين أو قراهم أو المنطقة التي جاءوا منها, ويمكن ملاحظتها أكثر في المراسم والأحياء

ويمكننا ملاحظة لدى استمرار العلاقات مع الوسط الأصلي فهي أحيانا تتجاوز مظاهر الزيارات للوسط الأصلي وتتعداه في مظاهر أخرى تعبر لنا عن مدى التمسك ببعض القيم والممارسات الثقافية الريفية إضافة إلى التعاون والتضامن بين العائلات الريفية الحضرية أو الريفية الريفية ، مثلما يحددها بوتفنوشت فهي « في شكل التعاون الجماعي « التويزة « وهي تآزر عدة عائلات تتجمع كلها لفائدة عائلة واحدة .... وهذا المحتوى الأخلاقي الاقتصادي والاجتماعي توصل إلى تحديد هوية الفرد التي تستجيب لإقتضاءات التعاون الجماعي ، الذي يميز باستفادة الجميع ، بالكرامة والاحترام الاجتماعي « (24) .

ويمكن ملاحظة ذلك عند انجاز النشاطات الاقتصادية أو إقامة الأفراح أو مساعدة بعض الأفراد اقتصاديا واجتماعيا سواء في الريف أو المدينة ، إن المهاجر الريفي عند انتقاله على المدينة يصعب عليه نقل ثروته أو ما يملكه إلى المدينة خاصة إذا تعلق الأمر بالأرض التي هي غالبا تعتبر جزءا لا يتجزأ من الموروث الثقافي للعرش والعائلة ، حتى وإن لم

يستغلها فإنه يشارك فيها غيره من الريفيين في استغلالها ، ولا يمكنه التفريط فيها حتى وإن لم يستغلها

التجمع العائلي والعشائري :

يعتبر التجمع العائلى و العشائري القرابي احد أشكال و صور العصبية،حيث قدم لنا ابن خلدون بادئ ذي بدئ هذه العصبية في حالتها الأصلية،التي تميزها القرابة الدموية،حيث يضل الفرد محا فظا على نسبه الأصلي

ولاحظ ابن خلدون على المجتمعات المغاربية أن الحي المغربي حي منطو على نفسه فهو جمهورية أبناء العم والزواج يتم بين افراد الجماعة الأصلية ,فالأمر في هذه الحالة يتعلق بقرابة العصب الثنائية، قرابة من جانب الأم و قرابة من جانب الأب الذي ليس له سوى ابن العم الشقيق لزوجته.. (25)

تستمر في الوسط الريفي أنظمة القرابة والنظم الاجتماعية التقليدية التي تقوم على أساس الدّم « وتعرف من هذه الزاوية بالعصبية ،وتخضع كأي نظام اجتماعي آخر لمجموعة من القواعد و المبادئ المنظمة للعلاقات فيما بينها (26) .

فبعد استقرار المهاجرين الريفيين في المدينة ، كان يجب عليهم أن يخلقوا نموذج جديد للدفاع إزاء الوسط الجديد المختلف أحيانا عن وسطهم الأصلي, إذ تعتبر التجمعات السكنية التي ظهرت خاصة في ضواحي المدن كشكل جديد من التجاوز بين الجماعات الأسرية و القرابية والعشائرية في الحي الواحد ,الذي يعبر عن مدى تماسك وتجانس ساكنيه سواء في الأحياء القديمة أو الجديدة في المدينة .

إن الأسرة الريفية في المدينة تنجذب نحو أقاربها وجماعاتها العشيرية القادمة من نفس الوسط الأصلي , فقط يكون السكن إما جواريا في الأحياء أو معهم في نفس السكن ومؤقتا حتى تدبر سكن ملائم ، فهذه التجمعات توفر عنهم المعانات في المدينة ومن جهة أخرى تربطهم بجماعاتهم التي تشترك معهم في ثقافاتهم وتصوراتهم الاجتماعية فهذا ما يجعل من هذا التجمع منطقة عمرانية واحدة أحيانا تنتمي إلى جماعة أصلية واحدة ذات ثقافة وقيم واحدة ، وكما يؤكد بن عطية : « أن عدد المستأصلين المستقرين في المدينة منذ وقت قريب يحاولون نقل إلى الوسط الحضري (قواعدهم) تكتمل من الأكواخ ، فهم

يجتمعون حسب شبكة العلاقة العائلية التي تمنح لهم الأمن .... في الجزائر العاصمة وبعد الاستقلال نرى ان كل أسرة ممتدة تجلب أسرة أخرى حتى تشكلت أحياء جديدة قروية تجمع من 15 إلى 20 أسرة .. « (27) .

فالأسرة الريفية القديمة في المدينة تعتبر كسند لكل أسرة ريفية ترغب في قضاء حاجاتها في المدينة أو الهجرة لها ، والعلاقات الريفية الحضرية العائلية عموما تعمل على التقرب المكاني للوحدات القرابية المهاجرة للمدينة ، إن هذا الأمر يشجع على استمرار تدفق المهاجرين واستقرارهم في نفس المنطقة التي تقطن بها الوحدة القرابية التي ينتمون إليها ، و يجدون داخل هذه الوحدات القرابية الريفية نفس سمات الثقافة التي جاءوا منها من القرية إلى المدينة «.

هذا الأمر يعمل على هامشية الأس الريفية في الوسط الحضري و يخلق نوع من المناطق الريفية الحضرية التي تدرج ضمن مظاهر ترييف المدن وبروز مظاهر الحياة الريفية فيها ، وتبرهن على مدى جمود الرواسب والثقافات الريفية فيه,ا حتى وإن لوحظت بشكل مكيف مع الوسط الحضري فهي كما تزال محافظة على إبقائها .

إن الانتماء إلى تجمع عائلي أو عشائري في المدينة من جهة يضمن الأمن والتضامن والمساعدة للعائلة الخارجية, ومن جهة أخرى يؤدي إلى نقل بعض العناصر الثقافية الريفية وبالتالي يصعب من عملية التكيف الحضري و يخلق نوع من الصراعات خاصة مع عدم التحلي بثقافة المدينة ، كما تعمل التجمعات على إبقاء الأنظمة التقليدية الريفية لها جراء تحكم نظام الجماعة على الأفراد .

إن النازحين الريفيين يميلون إلى التمركز في مناطق سكنية متجاورة غالبا تكون هامشية وعلى ضواحي المدن لتحكم العامل الاقتصادي في اختيار للسكن ، إمّا لتدني سعر السكنات او أسعار الإيجار فيها أو الرغبة في الحصول على مساعدات اجتماعية واقتصادية سواء من طرف أبناء عرشهم أو من طرف الدولة كما تعمل هذه التجمعات إلى المحافظة وصمود العلاقات العائلية و القرابية والعشائرية وتعمل على رفض القيم والقوانين الحضرية الداخلية والمحافظة على الصلات مع الوسط الأصلي

خلاصة

يلجأ المهاجرون الريفيون إلى المدينة بغية الحصول على حال معيشي أفضل إلى الهجرة التي غالبا ما تكون جماعية و إلى أي تجمع حضري ملائم يضمن لهم الحياة الاقتصادية والاجتماعية و الأمنية الملائمة قد تجلب ، وبطرق جماعية مجموعات أخرى مما يجعلها مراكز لتجمع الريفيين في المدينة ونقطة وصول بقية النازحين في المستقبل ، وتعمل هذه الهجرات إلى خلق تجمعات سكانية ضخمة ريفية متماثلة السمات

(الاجتماعية و الثقافية) لا تختلف كثيرا عن الريفية فهي مشابهة للوسط الأصلي السابق و بالتالي تدعم انتشار الممارسات الريفية في المدينة ، و بالتالي يؤدي إلى خلق أحياء سكنية خاصة بمميزات المهاجرين حسب صلاتهم القرابية و العشائرية وتعمل هذه التجمعات السكنية سواء تعلق الأمر في الأحياء الشعبية التقليدية أو القصديرية على إنشاء صلات قوية و متينة فيما بينها ، فبالرغم من حداثتها في المدينة ن إلا أنها تعمل على إنشاء تنظيمات و لجان للأحياء و المقاطعات بهدف الدفاع على حقوق ساكنيها و المطالبة بتوفير الشروط الملائمة الضرورية

كما يعتبر عامل الفقر أو المستوى المعيشي المتدني للريفيين احد عوامل عدم الاندماج في الوسط الحضري إذ يرغم على إبقاء المهاجرين على الهامش الحضري و يدعم التجمعات السكانية القرابية التي هي غالبا على أطراف المدن حيث نلاحظ بأنها « عملية نقل للبيئة الريفية»

وتعمل هذه الأحياء على خلق بيئة ريفية فهي أكثر نشاطا و تواجدا مقارنة مع التجمعات الحضرية الأخرى في المدينة ..

و يعمل التجمع السكني على خلق أحياء متخلفة حضريا ...فأغلبها غير قانوني و لا يخضع للشروط القانونية للسكن الحضري و يزيد من الضغط على الخدمات العامة في المدينة ، فهي لا تختلف كثيرا عن السكنات الريفية و تعمل السكنات المتخلفة على تسهيل ممارسة الأعمال الريفية المدينة الخاصة (تربية الحيوانات و الماشية خصوصا ..)

يختلف المهاجرون الريفيون من حيث الأصل المكاني (قرية ، ريف) في اختيار السكن أو الحي السكني في المدينة ، فنجد أن النازحين من القرى أقل ارتباطا بالسكنات القصديرية و الفوضوية مقارنة بالريفيين و البدو الرحل

و تعمل السكنات في الأحياء العشوائية على استمرار العلاقات مع الوسط الأصلي مع النازحين من الريف بعضهم البعض و خلق المزيد من التجمعات السكنية القرابية ، فتجعل من فرص إقامة علاقات مع الحضريين شبه منعدمة ، فهي تتأثر بالعلاقات مع الوسط الأصلي للمهاجرين ة تتأثر العلاقات الاجتماعية في المدينة بالأحوال الاقتصادية ، فالعلاقات الاجتماعية القرابية تتدعم و تتشيد بسوء الأحوال المعيشية للسكان و تدفعهم إلى الالتزام بمظاهر التضامن و التماسك و التعاون التي تظهر على شكل التعاون الجماعي و الالتزام بالمساعدة المادية و المعنوية

و تعمل العلاقات مع الوسط الأصلي إلى دعم المهاجرين ماديا و معنويا إضافة إلى كونها تدفعهم الى المحافظة على الإرث الثقافي للعائلة المهاجرة و تدفعهم إلى عدم التخلي عن الحياة الريفية سواء تتعلق الأمر بمجالات الدخل أو الاستثمار في الريف و تعمل أيضا على تأمين بقاء الروابط الاجتماعية لبين الريفيين و الحضريين في المدينة مع مختلف مصالح الدولة .

و تختلف درجة الارتباط بالعلاقات الاجتماعية التقليدية عند القرويين و الريفيين ، فنجد أن الريفيين أكثر تقبلا لإنشاء علاقات جوارية أو مصاهرة في المدينة مع الحضريين على عكس المهاجرين الريفيين الذين يحافظون على التماسك القبلي و العائلي باستعمال العلاقات الزواجية داخل العرش أو القبيلة.

الهوامش:

(1)ـ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت ، مكتبة لبنان ،.1978 ،ص 221 .

(2)ـ قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة ، الإسكندرية ، 1989 .ص 251 .

(3)ـ نفس المرجع السابق .ص 281 .

(4)ـ رشيد فكار، معجم موسوعي ، دار النشر العالمية ن باريس 1980 . ص 254 .

(5)- المجتمع و المصنع ، دراسة في علم الاجتماع ، الهيئة المصرية للكتاب , مصر 1975 .ص 256 .

(6)- محمد عاطف غيث ،: قاموس علم الاجتماع ، دار المعارف, الإسكندرية . 1989 .ص 230.

(7) - معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، مكتبة لبنان ,1978 .ص 221

(8)- محمد عاطف غيث،: مرجع سابق 186.

(9)- إبراهيم مذكور،معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية للكتاب، 1975 ، ص 174 .

(10)- أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (مرجع سابق) .

(11)- سعد الدين السعودي ، اندماج وإدماج العمال الريفيين في المنشأة الصناعية الجزائرية ر م ،

معهد علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ،ص 198

(12) - عبد القادر لقصير : الهجرة من الريف إلى المدينة ، مرجع سابق، ص 233.

(13) - نخبة من الأساتذة :معهد العلوم الاجتماعية ، الشعبة العربية للتربية و العلوم الثقافية، اليونسكو ،القاهرة 1975ص177

(14) - حكمت أبو زيد،التكييف الاجتماعي في الريف المصري.القاهرة،1961 ص 11

(15) -عبد الحميد دليمي ،: دراسة لواقع الأحياء القصديرية - مخبر الإنسان والمدينة ، دار الهدى، 2007، ص 29

(16) - المرجع سابق ص 238 .

(17) - محمد الجوهري وسعاد عثمان ، دراسات في الانثروبولوجيا الحضرية ط 1 . دار المعرفة ، 99 ، ص 507

(18) ـ تيغزت خوفة ، استمرار الرواسب الريفية في الوسط الحضري . رم . الجزائر .2002 . ص 90.

(19) ـ غريب محمد السيد ،:علم الاجتماع الريفي ، دار المعرفة الجامعية ص 114 .

(20) ـ محمد الجوهري وآخرون : علم الاجتماع الريف الحضري ، سبق ذكره ، ص 507

(21) ـ تيغزرت خوخة ،: (مرجع سابق) ص 92 .

(23) ـمحمد بومخلوف ، سلسلة الوطن – مرجع سابق ص 199

(24)ـمصطفى بوتفنوشت،العائلة الجزائرية,تردمري احمد ,د م ج,الجزائر,1984,ص220.

(25) ـ عبد الغني مغربي، الفكر الاجتماعي عند ابن خلدون،تر محمد الشريف بن دالي،الجزائر، م و ك،1986،ص 143(22)

(26) ـنفس المرجع السابق

(27) ـ عبد القادر القصير ،: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية،دار النهضة ،ص 80

(28) ـ معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، سبق ذكره ، ص250